Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بغداد خير إقامة حتى تجددت أطماعه وهمّ بالانقضاض على الخليفة وأفسد العهد الذي بينهما . كما وشى بذلك آل الزبـــير ، فأمر الرشيد بحبسه ولكن جعفراً أطلق سراح العلوي وطمأنه وبعث معه رجلاً من حاشيته ليوصلوه إلى مأمنه ، ثم أخفى الخـبر عن الرشيد حتى بلغ الرشيد الخـبر من حاسدي جعفر ، فسأل وزيره فأنكر ولم يعترف به حتى ضيق عليه الخناق .

ثم اقترن هذا كله بتدابير انفصاليـــة ، حيث كان جعفر يعد جنداً له في خراسان ومروة وطوس وهمذان ، ثم اقترن ذلك بأن حَظِيَ يحيى العلوي بتأييد البرامكة فأوشك عقد الدولة بذلك أن ينفرط وأوشكت دماؤها أن تراق ، وللدولة الحق كل الحق في أن تبقى واحدة اللواء محقونة الدماء وهذه هي القضية السياسية التي تطرحها قصة العباسة وجعفر .

وحين تناول جرجي زيدان قصة العباسة لم يعنه أن يطرح القضية الاجتماعية لأنه أراد أن يكون كما زعم مؤرخاً برواياته لتاريخ الإسلام ثم إنه كذلك لم يعن بطرح القضية السياسية لأنه عني بأن يغطي ثلاثمائة صفحة بالأحداث والمواقف المفتعلة ويحدث بواعث التشويق « الميلودراميـــة » والعديد من التواريخ والسير الاستطرادية أو المنفصلة عن مجرى الأحداث . وبما هو أخطر من هذا وأدهى .

لقد لاحت القضيتان الاجتماعية والسياسية في هذا الزحام المفتعل حائلتين ، لم تجدا قلماً يعالجهما بفنية واقتدار كما فعل عزيز أباظة في مسرحيته (العباسة) ، على انني لا أريد موازنة بين القصتين، فلقد أراد زيدان أن يكون في قصته — كما زعم — مؤرخاً وقد نص على أن من غايات روايته (بيان ما بلغت اليه الدولة من الحضارة والأبهة في عصر الرشيد) فما مبلغ الحضارة والأبهة التي بلغتها الحضارة العباسية لعهد الرشيد في هذه الرواية ؟

الحضارة التي أولع بها زيدان بتصويرها (في العباسة) هي حضارة الجواري والقيان والعبيد والخصيان والأبهة التي احتشد زيدان للحديث عنها هي أبهـــة القصور المسرفة في بذخها ، الباذخة في ظلمها ، الظالمة في حياتها اللاهية العابثة ،